﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ۝١٠﴾ [الإنسان: 9 - 10]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهُما:

تنوَّعت سُبُل البذل والعطاء؛ ففازوا بالرِّضا وجزيل الثَّناء

لمّا ذكر المولى سبحانه أنَّ الأبرار يُحسِنون إلى هؤلاء المحتاجين بيَّن أنَّ لهم فيه غرضيْن: أحدُهما: تحصيل رضا الله تعالى والآخَر: الاحتراز مِن خوفِ يوم القيامة[1]؛ لطفًا وتفقيهًا وتنبيهًا لما ينبغي أن يكون عليه مَن أخلَص لله، ولم يُرِدْ بعبادته أحدًا سواه[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿عَبُوسًا﴾: أصل (عبس) يدلُّ على تكرُّهٍ في الشَّيء[3]. عبَس الرَّجُل يعبِس عُبوسًا، فهو عابسٌ: كَلَحَ، والعُبوسُ: قُطوبُ الوجهِ مِن ضيق الصَّدر، واستعير العَبوسُ للزّمان، كما استعير له الشدّة والصعوبة، ومنه قيل: يومٌ عَبوس؛ أي: شديد. قال تعالى: ﴿يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا﴾[4].

2) ﴿قَمۡطَرِيرٗا﴾: يومٌ قَمْطَريرٌ وقُماطِر: شديدٌ، قال تعالى: ﴿عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا﴾؛ أي: منقبِضًا لا انبساط فيه[5]. واقْمَطَرَّ يومُنا: اشتدَّ وتقبَّض، واقْمَطَرَّ للشَّرِّ: تهيّأ. ويُقالُ: اقْمَطَرَّت عَلَيْهِ الحِجارَةُ، أي تَراكَمَتْ وأظَلَّتْ؛ والقَمْطرير: المُقَبِّضُ ما بَيْنَ العَيْنين، ومعناه: (شديدًا غليظًا يُعَبِّسُ الوَجْهَ فيَجْمَعُ ما بَيْنَ العَيْنَيْنِ)[6].

---

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 748.

(2) الطيبي، فتوح الغيب: 16/ 191.

(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (عبس).

(4) الأزهريُّ، تهذيب اللُّغة، والجوهريُّ، الصِّحاح، والرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيُّ، عمدة الحُفّاظ: (عبس).

(5) الجوهريُّ، الصِّحاح، والرّاغب، المفردات: (قمطر).

(6) الجوهريُّ، الصِّحاح، والسّمين الحلبيُّ، عمدة الحُفّاظ، وابن منظور، لسان العرب: (قمطر).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

رضا الله أمانٌ ونجاة، لِمَن أخلصَ في عمله واتَّقاه

يبين النظم الكريم في هاتيْن الآيتيْن مقصد هؤلاء المؤمنين الصّادقين مِن الإنفاق في سبيل الله، وإطعام الطَّعام؛ فيذكر على لسان حالهم أنَّهم إنَّما يفعلون ذلك ابتغاءَ رضا الله تعالى ونيلِ الأجر والثَّواب منه سبحانه ولا يقصِدون مِن وراء ذلك عِوضًا أو مدحًا أو ثنَاء مِن النّاس؛ لأنَّهم يَرجون مِن الله بذلك أن يُؤَمِّنهم مِن عقوبته في يوم القيامة ذي الأهوال العظيمة، والضّيقِ والشِّدَّةِ الَّتي لا نجاةَ منها إلّا بالخوف منه سبحانه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

موقع جملة ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ﴾ ممّا قبله ودلالته:

أخلص الأبرار في عملهم، ففازوا بجنَّة ربِّهم

"جملة: ﴿نُطْعِمُكُمْ﴾ في محلِّ نصبِ مقولِ القول لقولٍ مقدَّر هو حالٌ مِن فاعل (يُطْعِمونَ)؛ أي: يطعمون الطَّعام قائلين: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ﴾"[2]؛ أي: أنَّهم "يقولون بألسنتهم للمسكين واليتيم والأسير: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ﴾ في الله - جلَّ ثناؤه - فزعًا مِن عذابه وطمعًا في ثوابه؛ ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً﴾؛ أي: مكافأةً، ﴿وَلَا شُكُورًا﴾؛ أي: ولا أنْ تُثنوا علينا بذلك. قال ابن عبّاس: كذلك كانت نيّاتُهم في الدُّنيا حين أطعَموا. وعن سالمٍ عن مجاهدٍ قال: أما إنَّهم ما تكلَّموا به، ولكنْ عَلِمه الله - جلَّ ثناؤه - منهم فأثنى به عليهم، ليرغب في ذلك راغب"[3].

"فمَن حَمَله على القول باللِّسان قال: إنَّما قالوا ذلك لِمَن أطعَموه ليُفْرِغوا قلبَه عن توهُّمِه أنَّهم يريدون منه ذلك"[4]؛ وذلك "لأنَّ

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 23/ 546 - 549، والمجلس الأعلى للشُّؤون الإسلاميَّة، المنتخَب، ص: 872.

(2) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 15/ 185.

(3) القرطبيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 130.

(4) أبو حفص النَّسفيُّ، التَّيسير في التَّفسير: 15/ 141.

إحسانَهم مفعولٌ لوجه الله، فلا معنى لمكافأة الخلق، وأن يكون قولُهم لهم لطفًا وتفقيهًا وتنبيهًا على ما ينبغي أنْ يكون عليه مَن أخلصَ لله. ويجوز أن يكون ذلك بيانًا وكشفًا عن اعتقادهم وصحَّة نيَّتهم وإنْ لم يقولوا شيئًا"[1]. وعلى كلٍّ فإنَّ جملة ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ﴾ "تعليل لبيان سبب الإطعام"[2].

بلاغة التَّعبير بأسلوب القصر بطريق ﴿إِنَّمَا﴾:

القصر ضربٌ مِن ضروب توكيد الكلام ليقع مِن المتلقِّي موقعًا ينأى به عن الشَّكِّ والارتياب. والقصر بـ(إنَّما) يكون - غالبًا - لما هو ظاهرٌ ممّا لا ينكره المخاطَب، أو ما نُزِّل هذه المنزلة[3]؛ ولذا أوثر هنا؛ فإنَّ المسكين واليتيم والأسير إذا رأوا مِن ظاهر حال الأبرار ما يدلُّ على صلاح باطنهم، وقد استظلّوا بدَوْح عطاياهم - إذا رأوا ذلك فإنَّه لا يصدر منهم - غالبًا - إنكار أنَّ الأبرار إنَّما يفعلون هذا ابتغاء وجه الله؛ لأنَّ ظاهر حالهم قد أنبأ عن ذلك، فحسُن هنا استخدام (إنَّما) في القصر دون غيرها.

بـالـغَ الأبـرار فـي تـوكـيـد الإخـلاص، وعـدم ابتغاء شُـكـور مِـن النّاس

وثَمَّ توجيه آخر، وهو أن يقال: إنَّ "القصر المستفاد مِن ﴿إِنَّمَا﴾ قصرُ قلْبٍ مبنيٌّ على تنزيل المطعَمين منزلةَ مَن يظنُّ أنَّ مَن أطعمهم يمنُّ عليهم ويريد منهم الجزاء والشُّكر بناء على المتعارف عندهم في الجاهليَّة"[4].

سرُّ التَّعبير بأسلوب التَّكميل ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ﴾:

لمّا وصف الله تعالى الأبرار بالجود في قوله - سبحانه: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾، ثمَّ أتبعه بوصفهم بالإخلاص فقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ

أثـنـى الـلـه عـلـى الأبـرار المـطـعِـمـين؛ ليكونوا أسوةً للعالمين

(1) الزَّمخشريُّ، الكشّاف: 4/ 668.
(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 317.
(3) السّامرّائيُّ، معاني النَّحو: 2/ 250 - 251.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 385.

مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾. ووصفُهم بالإخلاص بعد الجود هو مِن باب التَّكميل[1]؛ "فقد وصفهم أوَّلًا بالجود والبَذل، وكمَّله بأنَّ ذلك عن إخلاص لا رياءَ فيه"[2].

دلالة التَّعبير بالمضارع المسند إلى ضمير الجمع ﴿نُطْعِمُكُمْ﴾:

يؤتَى بالمضارع للدَّلالة على الحال والاستقبال مع إفادة التَّجدُّد والاستمرار، وقد أُتي به هنا للدَّلالة على تكرُّر فعل الإطعام مِن الأبرار للمساكين واليتامَى والأُسارى، وأنَّ هذا الفعل هو مِن عاداتهم التي يحرصون على المداومة عليها ابتغاء رضوان الله تعالى، وهم يشتركون فيه مِن باب التَّعاون على البرِّ والتَّقوى، وهذا يُلمَح مِن إسناد المضارع لضمير الجمع: ﴿نُطْعِمُكُمْ﴾.

يتعاون الأبرار على طاعة الله، ولا يبتغون الثَّواب مِن أحدٍ سواه

معنى اللّام ودلالتها في ﴿لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾:

الأصل في معنى (اللّام) أنَّه موضوع للدَّلالة على الاختصاص[3]، وهو هنا بهذا المعنى، فإنَّ قوله: ﴿لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: له سبحانه خاصَّة[4]، فهي قُربة اختصّوا بها خالقهم مخلصين له العبادة والعمل.

اختصّوا خالقَهم بالقُربات، فنالوا في الجنّات أعلى الدَّرجات

بلاغة التَّعبير بالمجاز في ﴿لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾:

قوله تعالى: ﴿لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: "رجاءَ ثواب الله ورضاه"[5]. "وإطلاق الوجهِ على الذّاتِ مجازٌ مشهور"[6]؛ "أي: لِذاتِ الملِك الذي استجمع الجلالَ والإكرامَ لكونه أمَرَنا بذلك.

أطاعوا الله ذا الجلال، فاستحقّوا الإكرام والإجلال

(1) "وهو أن يأتي المتكلِّم أو الشّاعر بمعنًى مِن معاني المدح أو غيره مِن فنون الشِّعر وأغراضه، ثمَّ يرى مدحه بالاقتصار على ذلك المعنى فقط غير كامل، فيكمِّله بمعنًى آخر"، يُنظر: ابن أبي الإصبع، تحرير التَّحبير في صناعة الشِّعر والنَّثر، ص: 357.

(2) القنَّوجيُّ، فتح البيان: 14/ 464.

(3) سيبويه، الكتاب: 4/ 217، والزَّمخشريُّ، المفصَّل، ص: 282، وابن يعيش، شرح المفصَّل: 4/ 479، والسّامرّائيُّ، معاني النَّحو: 3/ 64.

(4) محمَّد الهلال، تفسير القرآن الزَّريُّ الجامع: 12/ 214.

(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/ 289.

(6) القاسميُّ، محاسن التَّأويل: 9/ 375.

وعُبِّر بالوجه؛ لأنَّ الوجه يُستَحَى منه ويُرجَى ويُخشَى عند رؤيته"[1].

كمال الاتِّصال وبلاغته بين الجملتين ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ﴾:

"جملة: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ مبيِّنة لمضمون جملة ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾"[2]، ومقرِّرة لها، ومؤكِّدة لمعناها[3]؛ "لأنَّ مَن أطعم لوجه الله لا يريد المكافأة ولا يطلب الشُّكر له ممَّن أطعمه"[4] فبيْن الجملتين كمالُ اتِّصال؛ ولذا لم يُجمَع بينهما بالواو، وفائدة كمال الاتِّصال هنا أنَّ "القوم لمّا قالوا: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ بقيَ فيه احتمالُ أنَّه أطعمه لوجه الله ولسائر الأغراض على سبيل التَّشريك؛ فلا جرمَ نفَى هذا الاحتمالَ بقوله: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾"[5].

يتأكَّد المعنى إذا نُفيَ ضدُّه، وتُعلَمُ بهذا حقيقتُه وحدُّه

دلالة التعبير بالمضارع المنفي ب(لا):

في قوله: ﴿لَا نُرِيدُ﴾ دخل حرفُ النَّفي ﴿لَا﴾ على الفعل المضارع ﴿نُرِيدُ﴾، وهو - في هذا السِّياق - أفاد استمرار النَّفي، فكأنَّهم قالوا: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ﴾ في الحال والاستقبال، دائمًا وأبدًا ﴿جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾، فإنَّما فعلنا ما فعلناه ابتغاء وجه ربِّنا ﷻ.. يقول كلُّ واحد منهم ذلك، فقلوبهم جميعًا مخبِتة.

من سمات الأبرار دوام الإخلاص، وترك مراءاة أحد مِن النّاس

معنى (مِنْ) ودلالتها، والمراد بضمير الخطاب:

الأصل في معنى (مِنْ) أنَّه موضوع للدَّلالة على ابتداء الغاية[6]، وهي بهذا المعنى هنا في قوله تعالى: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ﴾، فقد جعلوا المطعَمين ابتداءَ نفي إرادتهم الجزاءَ والشُّكور؛ أي: لا نريد

غاية الأبرار المطعِمين رضا الله ربِّ العالمين

(1) الشِّربينيُّ، السِّراج المنير: 4/ 453.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 385.
(3) البروسويُّ، روح البيان: 10/ 266، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 172.
(4) الشَّوكانيُّ، فتح القدير: 5/ 419، والقَنَّوجيُّ، فتح البيان: 14/ 464.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 748.
(6) سيبويه، الكتاب: 4/ 224، والزَّمخشريُّ، المفصَّل، ص: 379، وابن يعيش، شرح المفصَّل: 4/ 459، والسّامرّائيُّ، معاني النَّحو: 3/ 75.

أيَّ جزاء أو شكور يكون ابتداؤه منكم أيُّها المطعَمون، بل مِن الله الكريم سبحانه.

الغرض مِن تقديم الجارّ والمجرور ﴿مِنكُمْ﴾:

أوثر تقديمُ شبه الجملة ﴿مِنكُمْ﴾ على المفعول به ﴿جَزَآءً﴾ في قوله: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ لإفادة التَّخصيص؛ أي: لا نريد منكم خصوصًا جزاءً ولا شكورًا، بل نريده مِن ربّنا - ﷻ -، كما أنَّ هذا التَّقديم قد أفاد معنى لطيفًا يحسُن أن يراعَى في مثل هذه السِّياقات، فإنَّ الفقير إذا أُعطيَ شيئًا كبيرًا مِن المال أو الطَّعام فإنَّه قد تذهبُ نفسُه إلى أنَّ هذا الذي أنفق عليه إنَّما أعطاه ما أعطاه لأنَّه يريد منه شيئًا في مقابل هذا العطاء، فإذا قال له الغنيُّ المنفِق: (لا أريد منك) - بتقديم الضَّمير العائد على المخاطَب - فإنَّ نفسَ المخاطَب تطمئنُّ بمجرَّد سماع هذا القدر بغضِّ النَّظر عن سماعه لما نُفيَت إرادتُه. وعلى هذا قد وردت الآية، فقد أراد الأبرار طمأنة نفوس المساكين واليتامَى والأُسارَى إلى أنَّهم لا يريدون منهم شيئًا ألبتَّة بهذا الإطعام.

لا يريد الأبرار أجرًا مِن النّاس إطلاقا، بل مِن الله طمعًا وإشفاقا

الغرض مِن التَّنكير في ﴿جَزَآءً﴾:

قوله: ﴿جَزَآءً﴾ نكرة وردت في سياق النَّفي: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً﴾، فهي مفيدةٌ للعموم؛ أي: لا نريد منكم أيَّ جزاء، ولو كان يسيرًا.

سرُّ إيثار التَّعبير بـ﴿جَزَآءً﴾ دون أجرًا:

أوثِر التَّعبير بالجزاء دون الأجر في قوله: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ لتحقيق معنى يؤدِّيه الجزاء دون الأجر؛ إذ "الفرق بين الجزاء والأجر أنَّ الأجر ما يعود مِن ثوابِ العمل دنيويًّا كان أو أُخرويًّا، ويُقال فيما كان عن عَقد وما يجري مجرى العقد، ولا يُقال إلّا في النّافع. وأمّا الجزاء فيُقال فيما كان عن عَقدٍ وغير عَقد،

في الجزاء معنى المكافأة، وفي الأجر معنى الإثابة

ويُقال في النّافع والضّارّ. والمجازاةُ: المكافأةُ، وهي مقابَلَةُ نِعمةٍ بنِعمةٍ هي كُفؤها"[1].

دلالة العطف في ﴿وَلَا شُكُورًا﴾ وسرُّ التَّرتيب:

لا يريد الأبرار مِن النّاس جزاءً ماليًّا، ولا ثناءً قوليًّا

قوله: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾؛ "أي: لا نطلب منكم مجازاة تكافئوننا بها، ولا أنْ تشكرونا عند النّاس"[2]، فلا نريد "جزاءً بالفعال، ولا شكورًا بالمقال"[3].

فعطفُ الشُّكور القوليّ على الجزاء الماليّ جاء لحصر أقسام المكافأة على العطاء، فهي لا تخرج عن أحد هذين، فلمّا نفى الأوَّل وهو الجزاء، كان مِن الجائز أن يكون الثّاني وهو الشُّكور مرادًا، فجاء العطف ليقطع هذا الوهم فقال: ﴿وَلَا شُكُورًا﴾.

وقُدِّم نفي إرادة الجزاء على نفي إرادة الشُّكور مِن باب التَّدلّي مِن الأعلى للأدنى؛ فإنَّ المتبادَر - ممَّن يريد المكافأة على الإحسان - أن يطلب الجزاء الماليَّ أو الفعليَّ كونه أوقع في النُّفوس مِن الثَّناء القوليّ؛ فلذا قُدِّم، وأُتبِع بنفي قسيمه استيعابًا لهما، وإمحاضًا للعمل لنيل رضا الله تعالى وحده.

سرُّ إيثار التَّعبير بـ﴿شُكُورًا﴾:

يخشى الأبرار على أعمالهم مِن شوائب الرِّياء، وكثرة الثَّناء

قوله: ﴿وَلَا شُكُورًا﴾ يجوز أن يكون جمع (الشُّكْر)؛ مثل: (الفَلْس، والفُلوس). ويجوز أن تكون مصدرًا واحدًا في معنى جميع مثل: (قَعَد قُعودًا)، و(خَرَج خُروجًا)[4] وقد "اختير هذا المصدر المزيد كالدُّخول والخروج والقعود؛ إيماءً إلى أنَّ المنفيَّ ما يتكلَّف له، وأمّا مثل المحبَّة والدُّعاء فلا، ولو أرادوا شيئًا مِن ذلك لما كان لله"[5].

(1) البروسويُّ، روح البيان: 10/ 266.
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/ 289.
(3) الماورديُّ، النُّكت والعيون: 6/ 167.
(4) الأخفش، معاني القرآن: 2/ 560.
(5) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 21/ 140.

دلالة الاستئناف في قوله: ﴿إِنَّا نَخَافُ﴾:

أوثر فصلُ قوله تعالى في حكاية قول الأبرار: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا﴾؛ لأنَّه بدلٌ مِن قوله:

سببُ الإطعام الخوفُ مِن العذاب، وغايتُه الطَّمع في الأجر والثَّواب

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ واقعٌ في معرض التَّعليل[1]. "وهذه الجملة جوِّز أن تكون علَّةً لإحسانهم وفِعلهم المذكور كأنَّه قيل: نفعل بكم ما نفعلُ؛ لأنّا نخاف يومًا صِفتُه كيت وكيت، فنحن نرجو بذلك أن يَقيَنا ربُّنا - ﷻ - شرَّه، وأن تكون علَّةً لعدم إرادة الجزاء والشُّكور؛ أي: إنّا لا نريد منكم المكافأةَ؛ لخوف عقاب الله تعالى على طلب المكافأة بالصَّدقة"[2]؛ فلذلك "نتصدَّق لوجهه حتَّى نأمن مِن ذلك الخوف"[3] ويُجمَع بينهما فيقال: إنَّما نطعمكم طمعًا وخوفًا مِن الله المطلوبِ مرضاتُه وثوابُه؛ للخوف مِن غضبه وعذابه"[4].

سرُّ تعليل الإطعام بعلَّتيْن، وتعليل الإيفاء بالنَّذر بعلَّة واحدة:

الإطعام مظنَّة طلب السُّمعة والرِّياء؛ فلذلك عُلِّل بالإخلاص والخوف والرَّجاء

أورد النظم القرآني تبرير أهل الجنة بإطعام الطعام وتعليلهم بعِلَّتَيْن: **الأولى**: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾، **والثانية**: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا﴾، وذكر تعليلهم الوفاء بالنذر بعلة واحدة: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ فإنْ قيل: فما السَّبب فيه؟ قلنا: الإيفاء بالنَّذر دخل في حقيقة طلبِ رضاء الله تعالى وذلك لأنَّ النَّذر هو الذي أوجبه الإنسان على نفسه لأجل الله، فلمّا كان كذلك لا جرم ضمَّ إليه خوفَ القيامة فقط، أمّا الإطعام فإنَّه لا يدخل في حقيقة طلب رضا الله، فلا جرم ضمَّ إليه طلبَ رضا الله، وطلبَ الحذر مِن خوف القيامة[5].

---

(1) البروسويُّ، روح البيان: 10/ 267، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 385.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 173.
(3) ابن عجيبة، البحر المديد: 7/ 197.
(4) ثناء الله المظهريُّ، التَّفسير المظهريُّ: 10/ 156.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 749.

الغرض مِن مجيء الخبر جملة فعليَّة ﴿نَخَافُ﴾، ونكتة مجيء فعلها مضارعًا:

أكَّد الأبرار نفي إرادة الجزاء والشُّكور، إلّا مِن المنعِم الغفور

أوثر التَّعبير بالمسند الفعليّ تقويةً للحُكم وتوكيدًا له، والسِّرُّ في إفادة التَّعبير بالمسند الفعليّ تقويةَ الحُكم هو: تكرُّر الإسناد؛ لأنَّ الفعل فيه قد أُسنِد مرَّتين: مرَّة إلى المسند إليه (وهو هنا الضَّمير المتَّصل بالحرف النّاسخ ﴿إِنَّا﴾)، ومرَّة إلى ضميره المتَّصل به، العائد أيضًا على المسند إليه (وهو هنا الضَّمير المستتر في ﴿نَخَافُ﴾)، فهو بمثابة التَّعبير بجملة فعليَّة مكرَّرة، فيقوى الحكم ويثبت في الذِّهن[1] فقد أراد الأبرار توكيد نفي إرادتهم للجزاء والشُّكور مِن النّاس، وأنَّهم لم يفعلوا ما فعلوا إلّا ابتغاء وجه الله تعالى ومجيء الفعل ﴿نَخَافُ﴾ مضارعًا أفاد معنى تجدُّد الخوف في القلب، فهو كالمِرجل المتَّقد لا تخبو نارُه، ولا تسكن حركتُه، فيحرّك الجوارح دائمًا إلى فعل ما ينجّيها مِن عذاب يوم القيامة. فإنَّ "خوفَهم مِن اليوم كنايةٌ عن عملِ ما يؤمِّنُهم فزَعَه وهَولَه مِن الصّالحات"[2].

معنى ﴿مِن﴾ ودلالتها في ﴿مِن رَّبِّنَا﴾:

مِن لوازم الولاية جعلُ خوفِ الله المبتدأ والغاية

يجوز أن تكون من ابتدائية في قوله: ﴿مِن رَّبِّنَا﴾ كأنَّه جعل الرَّبَّ ابتداءَ الخوفِ وأصلَه، "ويجوز أن تكون (مِن) تجريديَّة كقولك: (لي مِن فلانٍ صديقٌ حميم). ويكون ﴿يَوْمًا﴾ منصوبًا على الظَّرفيَّة... ويجوز أن تجعل (مِن) لتعدية فعل ﴿نَخَافُ﴾ كما عُدِّي في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾ [البقرة: 182]، وينتصب ﴿يَوْمًا﴾ على المفعول به لفعل ﴿نَخَافُ﴾ فصار لفعل ﴿نَخَافُ﴾ معمولان. و﴿عَبُوسًا﴾ صفة لـ﴿يَوْمًا﴾، والمعنى: نخاف عذاب يوم هذه صفته، ففيه تأكيد الخوف بتكرير متعلَّقه ومرجع التَّكرير إلى كونه خوفَ الله؛ لأنَّ اليوم يومُ عدلِ الله وحُكمِه"[3].

(1) حسن عبد الرّازق، البلاغة الصّافية، ص: 125، وحسن طبل، علم المعاني، ص: 125.
(2) القاسميُّ، محاسن التَّأويل: 9/ 376.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 386.

سرّ الإضافة في ﴿رَبَّنَا﴾ ودلالة التَّعبير بالرُّبوبيَّة:

ما مِن شرف أعظم مِن العبوديَّة للرَّبّ الجليل، وأوثر التَّعبير بالرُّبوبيَّة هاهنا لأنَّ مِن لوازم الرُّبوبيَّة: الخلْقَ، والرِّزق، والملك، والتَّدبير، والعناية، والرِّعاية، والتَّربية، والإحسان[1]. وهي لوازم مرادة هنا، مناسبة لسياقها، فكأنَّهم نسبوا كلَّ ما هم فيه مِن توفيق للأعمال الصّالحة إلى مَن بالفضل ربّاهم وأحسن إليهم. ووجهُ ذلك أنَّه "لمّا كان الخوف مِن المحسِن بالنَّظر إلى إحسانه موجبًا للخوف منه بالنَّظر إلى عزّه وجبروته وسلطانه مِن باب الأوْلى قالوا: ﴿مِن رَّبِّنَا﴾؛ أي الخالق لنا، المحسِن إلينا"[2].

ما مِن شرف أعظم مِن العبوديَّة لله، والنِّسبة إلى طاعته ورضاه

الغرض مِن تقديم ﴿مِن رَّبِّنَا﴾ على الظَّرف ﴿يَوْمًا﴾:

أوثر تقديم شبه الجملة ﴿مِن رَّبِّنَا﴾ على الظَّرف ﴿يَوْمًا﴾ لإفادة التَّخصيص؛ أي: إنَّنا نخاف مِن ربّنا خصوصًا، لا مِن أحد غيره.

مَن خاف الله الأحد، هان في عينه كلُّ أحد

بلاغة الإيجاز بالحذف في ﴿نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا﴾:

قوله: ﴿نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا﴾ فيه إيجاز بحذف المضاف، والتَّقدير: نخاف عذابَ يومٍ صفتُه كذا. أو لأنَّ خوفه كنايةٌ عن خوف ما فيه[3].

الغرض مِن تنكير ﴿يَوْمًا﴾:

أوثر تنكير كلمة ﴿يَوْمًا﴾ لإفادة "التَّعظيم؛ أي: نخافه في يوم شديد"[4]، ذي أهوالٍ، فهو يومٌ هو في غاية العظمة[5].

الغرض من التَّعبير بالاستعارة في ﴿عَبُوسًا﴾ وسرُّ وقوعه صفة لـ﴿يَوْمًا﴾:

في وصفِ اليومِ بالعبوس في قوله: ﴿يَوْمًا عَبُوسًا﴾ مجازٌ على طريقيْن:

السُّلطان إذا عبَسَ خيف، فيكون اليوم العَبوس هو اليوم المَخوف

(1) أحمد الزّامليُّ، الآيات القرآنيَّة الواردة في الرَّدّ على البدع المتقابلة - دراسة عقديَّة: 1/ 194.
(2) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 21/ 141.
(3) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 8/ 288، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 172.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 386.
(5) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 21/ 141.

أحدهما: أنْ يوصَفَ بصفةِ أهلِه مِن الأشقياء، كقولهم: نهارُك صائمٌ، فقد رويَ أنَّ الكافرَ يعبَس يومئذٍ حتَّى يسيل مِن بين عينيه عَرَقٌ مِثلُ القَطِران.

والآخر: أنْ يشبَّه في شدَّته وضراوته وضرره بالأسد العَبوس أو بالشُّجاع الباسل[1]، وهو على الأوَّل مِن الإسناد المجازيّ، مِن قبيل إسناد الشَّيء إلى زمانه؛ كقولهم: (نهارُه صائمٌ)، وهو على الثّاني مِن الاستعارة المكنيَّة[2]، حيث "شُبِّه اليوم الذي تحدُث فيه حوادثُ تسوؤهم برَجُلٍ يخالطُهم يكون شرسَ الأخلاقِ عَبوسًا في معاملته"[3] أو "شبِّه اليومُ بالأسد العَبوس الكريه المنظر في شدَّة عُبوسه، لمَن يراه تشبيهًا مضمَرًا في النَّفس، وجعل ثبات لازم المشبَّه به له – وهو العُبوسة – دليلًا على ذلك التَّشبيه المضمَر على سبيل الاستعارة بالكناية والتَّخييليَّة"[4] وقد "وُصِفَ اليوم بأنَّه هو العَبوس القَمطَرير؛ لأنَّه يطَّلع على النّاس أغبرَ متجهِّمًا، يرمي بالنُّذُر والمهلِكات.. وإنَّه على صفحة الأيّام واللَّيالي تنطبِعُ أحوالُ النّاس، فالحزينُ يرى الحُزنَ مخيِّمًا على وجه أيّامه ولياليه، والمتوجّع الشّاكي، لا يسمعُ مِن أصداءِ الزَّمَن إلّا توجُّعًا وأنينًا، على حين يجدُ الخليُّ المغتبِطُ الأيّامَ واللَّياليَ تغازِلُه بالبسماتِ والضَّحِكات.. وهكذا تتلوَّن ساعاتُ الزَّمَن بألوانِ النُّفوسِ، وتصطَبِغ بما فيها مِن مَساءات أو مَسرّات"[5].

سرُّ الوصف بـ﴿قَمۡطَرِيرٗا﴾:

الجمع بين العبوس والقمطرير مبالغة في الوصف، وبراعة في الرَّصف

"القَمْطَريرُ: هوفي معنى العُبوس والازْبِداد. تقولُ: اقْمَطَرَّ الرَّجُلُ:

(1) الزَّمخشريُّ، الكشّاف: 4/ 669، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 749.
(2) الطِّيبيُّ، حاشية على الكشّاف: 16/ 192، والصّاوي، حاشية على الجلالين: 4/ 275.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 386.
(4) محيي شيخ زاده، حاشية على تفسير البيضاوي: 8/ 436.
(5) عبد الكريم الخطيب، التَّفسير القرآنيُّ للقرآن: 15/ 1364 - 1365.

إذا جَمَعَ ما بين عَيْنَيْهِ غضبًا"[1]. "فالقمطرير: الشَّديد العُبوس"[2]، و"هو أشدُّ ما يكون مِن الأيّام"[3]، "وأطوله في البلاء"[4] وقوله: ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ "وصفٌ للعُبوس بأنَّه عُبوس بالغٌ الغرابة في شدَّته، مُتَناهٍ في صفته. ولفظُ (القمطرير) يحكي بجرسه ما يشبه هدير الرَّعد، وقصف العواصف. فبناؤه اللَّفظيُّ يجسِّم أصدقَ صورةٍ لمعناه"[5] وهو تأكيد في المعنى؛ "لأنَّه لو اكتفى بقوله: ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ لكفى، لكن جمع بينهما للمبالغة"[6].

بلاغة اللَّفِّ والنَّشر في الآية:

مَـن خـاف نجا وجلّ، ومَن أمِن هلك وضلّ

قوله تعالى في حكاية كلام الأبرار: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ "هو مَقولٌ لقولٍ يقولونه في نفوسهم، أو ينطقُ به بعضُهم مع بعضٍ، وهو حالٌ مِن ضمير (يَخافونَ)؛ أي: يخافون ذلك اليومَ في نفوسهم قائلين: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾، فحُكي [هذا القولُ] وقولُهم: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾، وقولُهم: ﴿إِنَّا نَخَافُ ...﴾، على طريقة اللَّفِّ والنَّشر المعكوس. والدّاعي إلى عكس النَّشر مراعاةُ حُسنِ تنسيق النَّظم؛ ليكون الانتقالُ مِن ذِكرِ الإطعام إلى ما يقولونه للمُطعَمين، والانتقالُ مِن ذِكرِ خوفِ يومِ الحساب إلى بشارتهم بوقاية اللّه إيّاهم مِن شرِّ ذلك اليوم وما يُلَقَّونه فيه مِن النَّضرة والسُّرور والنَّعيم"[7].

(1) الثَّعالبيُّ، الجواهر الحِسان: 5/ 531.
(2) السَّخاويُّ، تفسير القرآن العظيم: 2/ 550.
(3) الكرمانيُّ، غرائب التَّفسير وعجائب التَّأويل: 2/ 1287.
(4) الخازن، لباب التَّأويل: 4/ 379.
(5) عبد الكريم الخطيب، التَّفسير القرآنيُّ للقرآن: 15/ 1365.
(6) القونويُّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 19/ 481.
(7) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 386.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

العُبوس والكُلوح:

الـكُـلـوحُ بُـدوُّ الأسـنـان عند العُبوس

الكُلوح: تكشُّرٌ في عُبوسٍ[1]، وهو بُدوُّ الأسنان عند العُبوس[2]، والكالح: مَن تقلَّصت شَفَتاه عن أسنانه، وذلك نحو ما يُرَى مِن رؤوس الغنم إذا شويَت، برزَت الأسنان وتشمَّرتِ الشِّفاه[3]؛ ولذا أوثِر لفظُه دون العبوس في قول الله ﷻ: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المؤمنون: 104].

والمعنى المحوريُّ لجذر العبوس: جهامة في الوجه تملأ النَّفْس وحشةً[4] كوجه العابس: وهو الأسد الذي تهرب منه الأسود[5]. ومنه: عبَس فلان عُبوسًا؛ أي: جمع جلد ما بين عينيه وجلد جبهته وتجهَّم[6]. (وتقبُّض أديم الوجهِ وتجهُّمُه يوحي بالجفاء ويوحِش مَن يُستَقبَل بهذا)[7]، وعَبَسَ اليومُ، أي: اشتدَّ[8]، ويومٌ عابِسٌ وعَبوس؛ أي: شديد[9]؛ ولذا أوثِر لفظُ (العُبوس) دون (الكُلوح) في قول الله ﷻ: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾؛ لشِدَّةِ وقْعِ هذا اليوم عليهم[10]، هذا اليوم الذي يُشبِه الأسدَ العَبوس في الشِّدة والضَّراوة[11].

(1) الجوهريُّ، الصِّحاح، وابن منظور، لسان العرب: (كلح).
(2) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة: (كلح).
(3) الأزهريُّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب، والسّمين الحلبيُّ، عمدة الحفّاظ: (كلح)، والقرطبيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 12/ 152.
(4) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (عبس).
(5) الزَّبيديُّ، تاج العروس: (عبس).
(6) مجموعة مِن المؤلِّفين، المعجم الوسيط: (عبس).
(7) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (عبس).
(8) مجموعة مِن المؤلِّفين، المعجم الوسيط: (عبس).
(9) ابن منظور، لسان العرب: (عبس).
(10) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (عبس).
(11) الزَّمخشريُّ، الكشّاف: 4/ 669، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 72.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والستون،
من سورة القِيَامة إلى سورة النَّازعَات الآية 26
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والستون، من سورة القِيَامة إلى سورة النَّازعَات الآية 26
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 65 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-646-17-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 65 : المجلد الخامس والستون، من سورة القِيَامة إلى سورة النَّازعَات الآية 26.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-646-17-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2525407 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"